احسان عباس

اتجاهات

الشعر العربي المعاصر

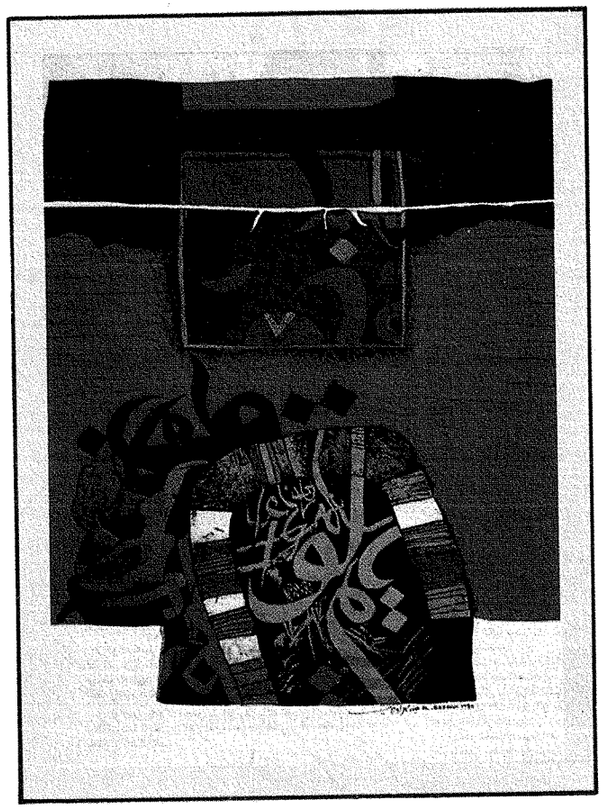

الشروق

احسان عباس
اتجاهات الشعر العربي المعاصر

892.7
ABB.I
099953

لوحة الغلاف: الفنان ضياء العزاوي

اتجاهات
الشعر العربي المعاصر

المؤلف في سطور

د. إحسان عباس

ولد في فلسطين عام ١٩٢٠: وتعلم في مدارسها إلى أن تخرج في الكلية العربية بالقدس عام ١٩٤١.

تخرج في كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٤٩، ثم حصل من نفس الجامعة على درجتي الماجستير (١٩٥٢) والدكتوراه (١٩٥٤) في الأدب العربي.

عمل بالتدريس في مدارس فلسطين حتى عام ١٩٤٦، ثم في جامعة الخرطوم خلال الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٦١.

عمل أستاذاً للأدب العربي بالجامعة الأميركية في بيروت ١٩٦١ - ١٩٨٦.

في أثناء ذلك دعته جامعة برنستون ليكون أستاذاً زائراً فعمل فيها من ١٩٧٥ - ١٩٧٧.

- دعي للعمل في الجامعة الأردنية باحثاً متفرغاً لكتابة تاريخ بلاد الشام سنة ١٩٨٦.
- أسهم في تزويد المكتبة العربية بالكثير من الكتب المؤلفة والمحققة والمترجمة، منها: تاريخ الأدب الأندلسي، بدر شاكر السياب. أبو حيان التوحيدي، فن الشعر. فن السيرة. عبد الحميد الكاتب. ملامح يونانية في الأدب العربي، تاريخ النقد الأدبي، نفح الطيب، ديوان لبيد، ديوان كثير عزة، وفيات الأعيان، موبي ديك (ملفيل)، مقال في الانسان (أرنست كاسيرر)، ت. س. اليوت: الشاعر الناقد (ماثيسن).
- له العديد من الدراسات والبحوث المنشورة في المجلات العربية، والأجنبية.

الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع
عمان - الأردن

99953

الدكتور إحسان عباس

اتجاهات الشعر العربي المعاصر

الطبعة الثالثة
٢٠٠١م ــ ١٤٢١هـ

دار الشرق للنشر والتوزيع
هاتف: 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس: 4610065
ص.ب: 926463 الرمز البريدي: 11110 عمان ـ الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله: المنارة ـ شارع المنارة ـ مركز عقل التجاري ـ هاتف: 02/2961614
نابلس: جامعة النجاح ـ هاتف: 09/2398862
غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر ـ هاتف: 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطيّ مسبق من الناشر.

All rights reserved
No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electonic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permissiom in writing of the publisher.

التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان والأفلام:
الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية
هاتف: 4618190/1 فاكس: 4610065 ص.ب: 926463 عمان (11110) الأردن.
Email: shorok Jo@nol.com.Jo

مقدمة هذه الطبعة

لست أستطيع أن أضيف في مقدمة هذه الطبعة شيئاً جديداً إلى ما قلته في مقدمة الطبعة الأولى. هنالك حددت ما أريد بكلِّ دقة: دراسة بعض جوانب من الشعر العربي ضمن فترة معينة، ممثلاً بشعراء «متميزين» عاشوا في تلك الفترة وأسهموا في توضيح طبيعة «مدرسة شعرية» جديدة، على الرغم من وجود فروق (نوعية) بين كثيرٍ منهم. واخترت مدخلاً لدراسة ذلك الشعر أستطيع أن أسمّيه «المنفذ الداخلي» مبتعداً بذلك عما لهج الدارسون برؤيته من الخارج، لأنها رؤية سهلة، إذ يقفون عند مثلٍ الاتجاه السياسي أو القومي أو الوطني... علماً بأنني ـ وهذا رأي أعتنقه ـ أرى أنَّ هذه مؤثرات خارجية ـ لا اتجاهات ـ قد تفعل في الشعر ولكنها تظلُّ تمثل مواقف «خطابية» أو في أحسن حالاتها «عقائدية» أو «أيديولوجية»، وأنَّ الشعر ـ بمعناه الأسمى ـ إذا ركبها لم يعد ثمة فرق بين نماذجه الدنيا ونماذجه العليا، فالنوعان من هذه النماذج قد يدرسان معاً لأن فيهما شواهد على هذا المؤثر أو ذاك، ولا يدرسان لقيمتهما الفنية. وحصيلة أكثر الدراسات للشعر في عالمنا العربي، تنحو هذا المنحى فلا تكون أكثر تلك الدراسات إلا تمثيلاً على ظاهرة ما عند عددٍ قليلٍ أو غفير من الشعراء. خذ أقدس قضية شهدها التاريخ العربي الحديث ـ أعني القضية الفلسطينية ـ تجد أن شعراً كثيراً يعزّ على الحصر قد تناولها، وأن عشرات الدراسات قد خصصت لدراسة ذلك الشعر، ولكن لا الشعر نفسه استطاع أن يرقى إلى مستوى القضية ولا الدراسات استطاعت أن تكشف شيئاً جديداً أو منحى جديداً، أو اتجاهاً جديداً في ذلك الشعر. لماذا؟ لأن أبعاد القضية التي تدرس مغيبة وراء طبقات كثيفة من الشواهد الجيدة أو السيئة التي تساق للدلالة على مشاركة العرب جميعاً في تلك القضية. ما جدوى مثل هذه الدراسات التي يستوي فيها النظر إلى شعر محمود درويش مع النظر

الطبعة الثالثة
٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ

دار الشرق للنشر والتوزيع
هاتف: 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس: 4610065
ص.ب: 926463 الرمز البريدي: 11110 عمان ـ الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله: المنارة ـ شارع المنارة ـ مركز عقل التجاري ـ هاتف: 02/2961614
نابلس: جامعة النجاح ـ هاتف: 09/2398862
غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر ـ هاتف: 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطيّ مسبق من الناشر.

All rights reserved
No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electonic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permissiom in writing of the publisher.

التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان والأفلام:
الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية
هاتف: 4618190/1 فاكس: 4610065 ص.ب: 926463 عمان (11110) الأردن.
Email: shorok Jo@nol.com.Jo

مقدمة هذه الطبعة

لست أستطيع أن أضيف في مقدمة هذه الطبعة شيئاً جديداً إلى ما قلته في مقدمة الطبعة الأولى. هنالك حددت ما أريد بكلِّ دقة: دراسة بعض جوانب من الشعر العربي ضمن فترة معينة، ممثلاً بشعراء «متميزين» عاشوا في تلك الفترة وأسهموا في توضيح طبيعة «مدرسة شعرية» جديدة، على الرغم من وجود فروق (نوعية) بين كثير منهم. واخترت مدخلاً لدراسة ذلك الشعر أستطيع أن أسمّيه «المنفذ الداخلي» مبتعداً بذلك عما لهج الدارسون برؤيته من الخارج، لأنها رؤية سهلة، إذ يقفون عند مثل الاتجاه السياسي أو القومي أو الوطني... علماً بأنني ـ وهذا رأي أعتنقه ـ أرى أنَّ هذه مؤثرات خارجية ـ لا اتجاهات ـ قد تفعل في الشعر ولكنها تظلُّ تمثل مواقف «خطابية» أو في أحسن حالاتها «عقائدية» أو «أيديولوجية»، وأنَّ الشعر ـ بمعناه الأسمى ـ إذا ركبها لم يعد ثمة فرق بين نماذجه الدنيا ونماذجه العليا، فالنوعان من هذه النماذج قد يدرسان معاً لأن فيهما شواهد على هذا المؤثر أو ذاك، ولا يدرسان لقيمتهما الفنية. وحصيلة أكثر الدراسات للشعر في عالمنا العربي، تنحو هذا المنحى فلا تكون أكثر تلك الدراسات إلا تمثيلاً على ظاهرة ما عند عددٍ قليلٍ أو غفير من الشعراء. خذ أقدس قضية شهدها التاريخ العربي الحديث ـ أعني القضية الفلسطينية ـ تجد أن شعراً كثيراً يعزّ على الحصر قد تناولها، وأن عشرات الدراسات قد خصصت لدراسة ذلك الشعر، ولكن لا الشعر نفسه استطاع أن يرقى إلى مستوى القضية ولا الدراسات استطاعت أن تكشف شيئاً جديداً أو منحى جديداً، أو اتجاهاً جديداً في ذلك الشعر. لماذا؟ لأن أبعاد القضية التي تدرس مغيبة وراء طبقات كثيفة من الشواهد الجيدة أو السيئة التي تساق للدلالة على مشاركة العرب جميعاً في تلك القضية. ما جدوى مثل هذه الدراسات التي يستوي فيها النظر إلى شعر محمود درويش مع النظر

إلى شعر أي شويعر مفتون بشعره، دون أن يجد له قارئاً.

لا أنكر أن هناك طرقاً أخرى كفيلة بإبراز الدور الصحيح للشعر في القضية الفلسطينية (وفي غيرها) ولكن لعلك تقر معي أيضاً أن ما أشير إليه من ركوب السهولة في جمع الشواهد الشعرية، والتعليق عليها ونشرها، هي الطريقة التي شاعت لدى دارسي الأدب، حتى جاءت أكثر تلك الدراسات تمثل نماذج للسطحية والضحالة.

لهذا فاني حين نويت أن اكتب هذا الكتيّب نأيت عامداً عن هذا التناول أو ما يقاربه ويلتبس به، وبينت ذلك بوضوح لا لبس فيه في المقدمة، وكأني كنت أقول لنفسي: لأُجَرِّبْ شيئاً ربما كان جديداً لعلي أمنح القارىء إقبالاً على دراسة هي أقرب الى طبيعة الشعر من دراسته خاضعاً للمؤثرات الخارجية. ولكني حين اخترت ذلك لم أقل إن ما أصنعه هو المنهج الوحيد الذي لا يقف إلى جانبه منهج آخر. فمناهج الدراسة متعددة، وكل موضوع يفرضُ طبيعة منهجه على الكاتب، غير أنك إذا اخترت واحداً منها فلا بدَ أن تلتزم به التزاماً دقيقاً صارماً. وحين اخترت هذا المنهج لم يكن يغيب عن بالي ما للنزعة القومية أو الماركسية أو الدينية... من تأثير في الشعر. ولكن لا يمكن الخلط بين التأثير الخارجي ووقفة الشاعر من الموت ـ مثلاً ـ ولهذا جنَّبتُ المنهج الذي اخترته التداخل والانتقال من ميدان إلى آخر.

وقد كُتِبَتْ حول هذا الكتاب الصغير بُعَيْدَ صدوره مراجعاتٌ ومقالات كثيرة، كان أشدها قسوة وتجنّياً ما حاول أن يتناول المنهج. فذهب واحد من أكثر النقاد أصالةً الى أن هذا المنهج « وضع الكاتب في طريق أبعد ما تكون عن رصد الاتجاه السياسي أو القومي أو الانساني » وهذا هو ما قلته أنا، وصرَّحت به دون تردد. ثم إن الناقد المحترم يضيف إلى ما تقدَم قوله: « ويقول الدكتور إحسان في تبريره لمجافاة دراسة الشعر المعاصر باعتبار اتجاهاته السياسية إن ذلك يحيل الشعر إلى وثائق، دون أن يركز حول فكرة أو أفكار معينة، وكأن معالجة الاتجاهات السياسية في الشعر ستجرده من الفكرة، أو أن اختيار الدكتور للعمق النفسي والفكري ـ كما يسميه ـ يمكن معالجته بمنأى عن الاتجاهات السياسية أو الوطنية أو القومية... وهذا الخطأ المنهجي ـ الذي هو للأسف سمة أغلب الدراسات الأكاديمية ـ سينسحب كما سنرى على أغلب معالجات فصول هذا الكتاب... »

وأكرر القول: إن دراسة الاتجاه السياسي أو القومي من خلال الشعر يحوّل الشعر إلى وثيقة، وهو أقل الوثائق في هذا المجال أهمية، وذلك شيء يلحقه بالتاريخ، ويفقده وظيفته الفنية، ولهذا كان الطابع العملي للدراسات التي صدرت

واتبعت هذا المنهج خلوها من الأفكار الموجهة وجنوحها إلى الوصف الخارجي. وهذا الناقد لا يزال يرى أن اختيار منهج دون آخر يسمى خطأ منهجياً، ويقرن بين المنهج الذي اخترته والدراسات الأكاديمية. ولو أن الأمر يحتمل الجدل لقلت لهذا الناقد الذي احترم مخالفته لي في الرأي: إذا كان هذاالخطأ المنهجي أو ذاك سمة للدراسات الاكاديمية، فمن العيب أن تدّعي لنفسها أنها دراسات أكاديمية حقاً، إذ أول ما يتطلبه المرء في تلك الدراسات أن تكون مناهجها سديدة بارئة من الخطأ. ولعل الناقد معذور لأنه يضع في ذهنه دراسات أناس عملوا في الحقل الأكاديمي، وهم من المميزات الايجابية لهذا الحقل براء. وسؤالي هو: هل يعتقد الناقد الكريم أن هذا الكتاب يقف في صف الدراسات الاكاديمية، حين تَعْني هذه الدراسات ـ في نظر الساخرين منها ـ الجمود والتصنيف والاحصاء والوقوف عند الشكليات؟ إن كوني أكاديمياً في المهنة وفي تعليم طلابي كيف يكون المنهج العلمي الصحيح، لا يعني أنني « أكاديمي » في الموقف النقدي. أما اتهامي بالعجز عن اتقان منهج لدراسة فانه يعني أنني لم أفد كثيراً من خبرتي الطويلة في تدريس المنهج، بل لعلّه قد يوحي أنني ضلَّلتُ على مدى ثلاثين سنة أو تزيد عشرات الطلاب كنت أدربهم على كتابة البحوث، وأشرف على رسائلهم الجامعية وأناقشها بإخلاص وليس رائدي في ذلك سوى حقّ المنهج عليّ. أفلا يحق لي تجاه هذه التهمة الظالمة أن أشعر بالحزن على نفسي الجانحة التي اضطلعت بما تجهل، وبالحزن الأعمق على تعاسة أولئك الطلاب الذين ابتلوا بمثل ذلك الأستاذ؟ سيقول لي الناقد المذكور إن خطأي مرة واحدة لا يعني انني كنت مخطئاً في كل موقف. غير أني أقول له، ولا أملك إلا الأسى: ان منهجياً يفوته التنبه إلى مثل هذا الخطأ الذي « قفشه » الناقد الهمام، لهو منهجيٌّ مخفق، ولو لم يخطىء إلا مرة واحدة، وإذا كان هو مستعداً أن يغفر لي هذا الخطأ، فأنا لا أغفره لنفسي، إن كنت حقاً قد وقعت فيه. وهذا لا يعني العصمة بحال، وإنما يعني أن أبعاد المنهج في هذا الكتاب كانت واضحة تمام الوضوح في ذهني قبل أن أخط فيه حرفاً.

وتقول ناقدة، سالكة هذا المسلك نفسه، لكن معتمدة خلطاً في المفهومات، تقول: « خلاصة رأينا أن المنهج الذي اخذ به الناقد من المناهج الكفيلة باعطائنا [كذا] عن سطح الشعر لا أعماقه، أي عن ما يسوده من أفكار مجردة مثل الحب والزمن والغربة، وهذا المنهج لا تاريخي أي أنه لا يعكس حقيقة الاتجاهات الشعرية، تلك التي تولد في التاريخ بوصفه إنتاج الحياة والأفكار وإعادة إنتاجها».